علم البديع في مدونة علوم القرآن: من تحسين اللفظ إلى انسجام النص القرآني

The Badii Science in Quran Sciences: from the word's improvement to Quranic Textual Coherence

د. أحمد برماد[1]
جامعة محمد الصدّيق بن يحي – جيجل
Bermad.ahmed@gmail.com

تاريخ الوصول 2021/02/03 القبول 2021/10/08 النشر على الخط 2022/01/15
Received 03/02/2021 Accepted 08/10/2021 Published online 15/01/2022

ملخص:

يسعى هذا البحث إلى إبراز دور علم البديع في تحقيق انسجام النصّ القرآني، من خلال العودة إلى مدونة علوم القرآن، وتحديدا تلك الجهود التي وظّفت طاقات العربية في سبيل إبراز تلاحم النصّ القرآني، أي التي آمنت بقدرة فنون البديع على ربط البنى النصّية المختلفة في مستوياتها العميقة أو السطحية، وقد بيّن البحث بداية تلك الصورة النمطية الجامدة التي رُسمت في أذهان الدارسين وبحوثهم في تعاملهم مع علم البديع، وذلك حين حصروا وظيفته الأساسية في التحسين اللفظي والمعنوي، إلا أن قراءة فاحصة لبعض المحاولات الحديثة الرائدة في مجال تجديد البلاغة عامة والبديع خاصة، وكذا العودة إلى بعض الممارسات الواعية في تراثنا العربي باختلاف أشكاله، تظهر لنا أن فنون هذا العلم قد قدِّمت على أنها وسائل يمكن أن تحقق الاتساق والانسجام في النصّ القرآني، بما تخلقه من شبكات على سطح النص وفي عمقه، وهو ما يؤهلها لأن تكون عاملا مساعدا على تحقيق النصّية بالمفهوم الحديث..

الكلمات المفتاحية: علم البديع، الانسجام النصي، التفسير، علوم القرآن، العلاقات الدلالية.

Abstract:

This research aims to study the role of Badii science in the coherence of Quranic text, Specifically, those efforts that employed the energies of Arabic linguistic in order to comfirm the coherence of the Quranic text, in other meaning : those who believed in the ability of the Badii arts to relate different textual structures in their deep or superficial levels.

The research at the beginning showed the stereotype that researchers dealt the Badii science when they confined its primary function to verbal and meaning improvement, However, an accurate reading of some conscious applications in our linguistic heritage, and some efforts modern attempts to renew the rhetoric in general and Badii sciene in particular shows us that the arts of Badii science were presented as a way that could achieve cohesion and coherence in the Quranic text , It qualifies it to be a means of realizing the text in the modern sense

Keywords: Badii Science, Textual Coherence, Interpretation, Quran Sciences , Semantic relations

[1]– المؤلّف المراسل: د. أحمد برماد البريد الإلكتروني: **bermad.ahmed@gmail.com**

1. مقدمة:

ينطلق بحثنا هذا من حيث انتهى الباحث جميل عبد المجيد في دراسته المعنونة بـ: "البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية" حين تساءل عن الوظيفة النصية التي يمكن أن تؤديها أشكال البديع المختلفة؟ وهو في هذا يلخص ما أسهب في تفصيله في دراسته عن الطاقات الكامنة للبديع التي تؤهله للعب أدوار أخرى جديدة في المتن النصيّ أيا كان نوع النص، أدوار تتخطى وظيفة التحسين المعنوي واللفظي، إلى وظائف تماسكية وتلاحمية في المتن اللغوي، وقد تبين لنا من خلال ممارسات عدة أن الدارسين القدماء والمحدثين كانت لهم إشارات ووقفات مع البديع، ليس من أجل إبراز دوره في تحسين اللفظ أو المعنى، وإنما في سبك النص ولحمه، أو في اتساق النص وانسجامه، وقد تبيّن لنا أن المدونات التي ركزت اهتمامها على آليات اشتغال النص القرآني وكيفيات بنائه قد انتبهت في وقت مبكر إلى أن عناصر البديع قد تشكّل ركيزة هامة في بلوغ هذه الغاية أي الكشف عن كيفيات بناء النص القرآني، وكيفيات اشتغاله، ومن ثم الكشف عن كيفيات انسجامه، ولا أدل على ذلك من تخصيص الزركشي (ت 764 هـ) والسيوطي (ت 911 هـ) لمساحات هامة لهذا الأمر تحت مسميات مختلفة "بدائع القرآن"، أو "أساليب القرآن وفنونه البديعة"، وعليه فإننا ننطلق مما انتهى إليه كل هؤلاء لمحاولة استجلاء الأدوار النصية للبديع، وهل يمكن عدّه دعامة أساسية في بناء النص وانسجامه بالمعنى الدقيق للانسجام النصيّ؟ وإلى أيّ مدى كان الوعي التطبيقي بالأدوار الجديدة للبديع عاملا مساهما في بناء نظرية نصيّة عربية؟

2. البديع العربي من البلاغة إلى النصيّة:

يعزى التقسيم الثلاثي للبلاغة العربية للسكاكي (ت626 هـ) في مصنّفه "مفتاح العلوم"، وهو عمل لم يسبقه إليه أحد كما أجمعت على هذا آراء الدارسين؛ حيث رتّب فنون البلاغة منطلقا من علم المعاني وصولا إلى علم البيان وانتهاء بعلم البديع حيث يقول:" وإذ قد تقرر أن البلاغة بمرجعيها، وأن الفصاحة بنوعيها، مما يكسو الكلام حلة التزيين ويرقيه أعلى درجات التحسين، فها هنا وجوه مخصوصة، كثيرا ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام"[1]، ولم يكن يدري السكاكي (ت626هـ) أنه بهذا الترتيب وهذا التحديد لوظيفة البديع قد أسس من حيث لا يدري لقضية ستشغل بال الدارسين لفترات زمنية طويلة من بعده ألا وهي موقع علم البديع من غيره من فنون البلاغة من جهة، ووظيفة البديع في الكلام العربي من جهة أخرى.

لقد سار على نهج السكاكي (ت626هـ) القزويني (ت682هـ) في هذا الشأن حين عدّ البديع "علما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة وهي ضربان: معنوي ولفظي"[2]، وهذا التحديد الضيق لهذا الفن هو الذي جعل الدارسين لا يحفلون كثيرا به، لأنه بعيد –برأيهم– عن جوهر البلاغة؛ فلا يهتم بمدى مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ولا بدرجات وضوح الدلالة وكيفيات أداء المعنى " وليس بخافٍ على دارسي البلاغة ذلك الخلاف الذي دار قديما بين العلماء حول مكانة البديع من مطابقة الكلام لمقتضى الحال التي هي جوهر البلاغة، والكثيرون لا يرون له دورا في تحقيق هذه المطابقة، بل إن هناك من ذهب إلى أن المحسن البديعي إن كانت له نكتة بلاغية فهو من علم المعاني وليس من البديع، أي أنه لا يكون من علم البديع إلا إذا خلا من النكتة البلاغية"[3]. وبهذا الوصف احتل البديع هذه المنزلة الضيقة مقارنة بفني البلاغة الآخرين (البيان والمعاني)، وحُصر في مجرد الزخرفة الشكلية مستقلا تمام الاستقلال بذاته، وهي الرؤية التي أراد أن يكرّسها جمهور الدارسين قديمهم ومحدثهم " ويبقى علم البديع بمجاله المختلف تماما عن المجالين السابقين، فإذا عُني علم المعاني

[1] السكاكي، أبو يعقوب، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987، ج1، ص423.

[2] القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، التلخيص في علوم البلاغة، ضبط وشرح: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1904، ص 347.

[3] أحمد محمد علي، دراسات في علم البديع، مطبعة الأمانة، مصر، ط1، 1986، ص04.

بإقامة الصرح، وعُني علم البيان بتقديم اللبنات، ومواد البناء، فإن علم البديع يعنى بطلاء المبنى وزخرفه، فهو علم طرق التحسين الكلي القائم على علاقات"[1].

وقبل العودة إلى موقع علم البديع من قرينيه (المعاني والبيان)، ووظيفته في الكلام العربي، نشير إلى أن هذا المصطلح لم يوظف عند المتقدمين بنفس الحمولة المعرفية التي حملها عند المتأخرين، ولم تستقر مذاهبه ومباحثه عند الدارسين، كما لم تحقق الإجماع المطلوب ؛ فقد استعمل هذا المصطلح عند المتقدمين ليدل على كل جديد في بلاغة الشعر، وليعبر عن الاتجاه الأدبي الذي بدأ يتشكّل متأخرا وموغلا في الصنعة والتكلّف " كان مصطلح البديع يستخدم بمعنى الجديد في بلاغة الشعر الذي أتى به الشعراء المحدثون في العصر العباسي، الذي تفاوتت إزاءه –إلى حدٍّ ما – مواقف النقاد والبلاغيين العرب ما بين إنكار وتقليل من شأنه، وإنصاف واعتراف بفضل بعض المحدثين في بعض أنواعه"[2]، وهو الموقف الذي يمكن أن نسجّله عند الدارسين المتقدمين إلى حدود القرن السابع للهجرة، ويمكن أن نصنف في هذه المرحلة كلاً من ابن المعتزّ (ت 247 ه) وهو أول من أفرد البديع بدراسة مستقلة، والجاحظ (ت 255ه)، والقاضي عبد العزيز الجرجاني (ت 392ه)، والآمدي (ت370ه)، وأبي هلال العسكري (ت 395 ه).

أما ابتداء من القرن السابع للهجرة فقد استقر هذا المصطلح ليدل على الفن الذي عرف لا حقا بأنه العلم الذي يعرف به طرق تحسين الكلام، وذلك طبعا بعد مراعاة أبواب المعاني من مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وأبواب البيان من وضوح الدلالة ، واتضح ذلك جليا عند السكاكي (ت626ه) والقزويني (ت 682ه)؛ فيظهر جهد الأول منهما في مصنّفه "مفتاح العلوم" الذي حدد المباحث البلاغية وخصّ البديع ببعض منها، وكان قد قسم مصنفه ثلاثة أقسام " قصر القسم الأول منها على علم الصرف وما يتصل به من الاشتقاق بأنواعه، كما جعل القسم الثاني منه لعلم النحو، أما القسم الثالث فخص به علم المعاني وعلم البيان وملحقاتهما من البلاغة والفصاحة والمحسنات البديعية اللفظية والمعنوية"[3]، وعلى الرغم من أن السكاكي (ت 626ه) لم يخصّ علم البديع بباب مستقل في مصنّفه؛ إذ جعله ضمن القسم الثالث الذي تضمّن كل فنون البلاغة وعلومها، إلا أن سبقه وفضله في هذا الباب يتجلّى في تقسيمه لأنواع البديع إلى قسمين كبيرين: ضروب تحسين لفظية، وأخرى معنوية، مما لم يسبقه أحد من الدارسين والمهتمين من قبله "فلعلّه كان أول من نظر في المحسنات البديعية، وقسّمها إلى محسنات معنوية وأخرى لفظية، وهذا أمر يحسب بطبيعة الحال للسكاكي، لأن من بحثوا قبله في المحسنات البديعية، كانوا يوردونها مختلطا بعضها ببعض، وقلّما حاول أحدهم أن يفرّق بين المعنوي واللفظي منها كما فعل هو"[4].

وأما القزويني (ت682ه) فقد تجلّى صنيعه في التحديد والتخصيص، وذلك بعد أن صاغ للبديع المفهوم الذي ذكرناه، فاصلا إياه عن علمي البيان والمعاني" وبهذا التقنين لمفهوم البديع وبتخصيص فنون بلاغية محددة تدرج في إطاره وتبحث، أصبح البديع العلم الثالث من علوم البلاغة"[5]، وبين هذا وذاك وبعدهما جاء دارسون وبلاغيون ونقاد وأدباء آخرون[6] نظّموا أبواب البديع، وأضافوا وحذفوا منه إلى أن وصل

---

[1] تمام حسان: الأصول: دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، دط، 1988، ص389.

[2] جميل عبد المجيجد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دط، 1998، ص13،14.

[3] شوقي ضيف، في البلاغة العربية، علم البديع، دار النهضة، بيروت، دط، 1974، ص37.

[4] شوقي ضيف، المرجع السابق، ص38.

[5] جميل عبد المجيد، المرجع السابق، ص31.

[6] نذكر على سبيل المثال لا الحصر: ابن أبي الأصبع المصري (ت654ه) في مصنّفيه "تحرير التحبير" و " بديع القرآن" وقد أحصى فيهما عددا كبيرا من المحسنات فاق مائة وعشرين نوعا، والسجلماسي (ت704) في كتابه "المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع"، وغيرهما ممن جاء بعد القزويني وخاصة ممن حاول نظم التلخيص وشرحه.

إلينا في الصورة التي نعرفها اليوم، على الرغم من كون الدراسات الحديثة في معظمها قد سارت على هدي الأقدمين تقسيما وتبويبا، وغلبة للطابع التعليمي[1].

إننا إذا تتبعنا مسار الدرس البلاغي عموما والدرس البديعي بصفة خاصة، أمكننا بلا شك استخلاص تلك النظرة الدونية التي طبعت رؤية الدارسين لهذا الفن ، ولعل هذا الأمر –كما نراه– قد أسس له كل من السكاكي (ت626 ه) والقزويني (ت682ه) حين حصرا وظيفة البديع في التحسين، وزاده بلّة حالة الابتذال والجمود التي بلغها على أيدي أولئك الشعراء والأدباء ممن اعتنقوا الصنعة اللفظية مذهبا لهم في فترات جمود الأدب العربي وضعفه، إذ غدا الأدب ساحة يتبارى فيها الشعراء والأدباء من أجل إبراز مقدرتهم اللغوية في جمع ما أمكن من أشكال وضروب التحسين اللفظي والمعنوي؛ من جناس وطباق وتورية ومقابلة، فغدا الأدب معها شكلا بلا روح، وهياكل صمّاء تنبئ فعلا بتهاوي صرح البلاغة على أيدي المتأخرين منهم خاصة، وبعبارة أخرى : فإنه حين أصبحت الأشكال البديعية المتعددة غاية وهدفا من الإبداع لا عاملا مساعدا على إبراز الجمالية والفنية في العمل الإبداعي، تهاوى إثر ذاك هذا الفن إلى ما نعلمه من المنزلة التي بلغها، فالعيب –كما يرى الدارسون– ليس في علم البديع في ذاته، وإنما في طريقة استعمال فنونه، وغاية الاستعمال في حدّ ذاتها، وقد أخذ هذا الوضع " ينمو ويتّسع ويتسابق فيه الشعراء، والكتاب ويعمدون إلى التعسّف فيه؛ إذا عزّ عليهم منالهم، حتى لم يعد الغرض من الكلام هو البيان والإفهام أو جلاء المعنى، وإنما صار الهدف منه هو التباري في الصنعة والتسابق في ميدان البديع"[2].

وأمام هذا التناول النمطي لعلم البديع إبداعا وممارسة ونقدا، ودراسة أيضا كان منطقيا أن يحتل منزلة في ذيل ترتيب فنون البلاغة وعلومها، وذلك على الرغم من أن الأشكال البديعية لا تقل جمالية عن المباحث الأخرى التي يحتويها البيان والمعاني، وهذا ما يدفعنا للقول مرة أخرى: إن سوء الاستخدام من جهة، والنظرة المسبقة والحكم القاسي على علم البديع في حصر وظيفته في التحسين، قد بوّأته المنزلة التي هو عليها لقرون طويلة " فإذا جرّدنا البديع من سوء الاستخدام عند الشعراء والكتاب استعاد مكانته عند العلماء ومنزلته"[3].

ويرى بعض الدارسين أن هذه النظرة التي طبعت علم البديع نابعة من تلك النظرة الجزئية التي طبعت تراثنا البلاغي واللغوي عامة، والبديع بصفة خاصة؛ إذ إنّ أفق البحث والتنظير في تراثنا القولي قد ارتكز في حدود البيت أو البيتين والمقطوعة أدبا، وحدود الآية والآيتين في الدراسات القرآنية، وقلّ ما يتجاوزه إلى حدود النصّ وأفقه[4]، وهذا ما نصّ عليه محمّد عبد المطّلب في دراسته الموسومة بـ:" بناء الأسلوب في في شعر الحداثة" حيث يقول: "البديع نفسه قام على ظواهر جزئية داخل حدود الجملة"[5]، وهو ما أكّدت عليه الباحثة أمل سلمان حسان حيث تقول:" سيطرت هذه النظرة الدونية لعلم البديع على التفكير البلاغي والنقدي عند العرب، ربما يعود ذلك إلى النظرة الجزئية التي

[1] نذكر من الدراسات الحديثة التي نقصدها: دراسة أحمد إبراهيم موسى، الصبغ البديعي في اللغة العربية، ودراسة عبد القادر حسين: فن البديع، ودراسة عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية علم البديع، ودراسة فايز الداية: البلاغة العربية البيان والبديع، ودراسة عبد الفتاح لاشين: البديع في ضوء أساليب القرآن، ودراسة مصطفى الجويني: البلاغة العربية تأصيل وتجديد وغيرها من البحوث والدراسات.

[2] أحمد محمد علي، المرجع السابق، ص06، 07.

[3] المرجع نفسه، ص 07.

[4] قد لا نوافق الدارسين هذا الرأي والحكم، فهو وإن كان صادقا بنسبة كبيرة ، فإن المتصفّح والباحث في التراث العربي والمتعمق في آليات التحليل والقراءة فيه سيعثر بلا شكّ على نماذج من النظرة الكليّة الشاملة سواء في المتن اللغوي او النقدي أو البلاغي وحتى الديني ممثلا في تلك الدراسات التي تندرج ضمن علوم القرآن خاصة، ويمكن أن ندلل على ذلك بمباحث علم المعاني وخاصة مباحث الفصل والوصل ، ومباحث النظم و التعليق عند عبد القاهر الجرجاني (ت 471ه)، وقضية تماسك الفصول عند حازم القرطاجني (ت 684ه) ، ومباحث المناسبة في مدونة التفسير وعلوم القرآن عامة إذ تعد مباحث أولية تنبئ عن النظرة الكلية الشاملة في التعامل مع النصوص.

[5] محمّد عبد المطّلب، بناء الأسلوب في شعر الحداثة، دار المعارف، مصر، ط2، 1995، ص110.

عولجت بها المباحث البلاغية عامة"[1]، وهذا على الرغم من أن محمد عبد المطلب يتراجع لاحقا عن حكمه، ويقرّ أن البديعيين استطاعوا من خلال تشكيلاتهم بلوغ الدلالة الكلية للنصوص وهو ما نراه يتنافى مع الحكم السابق إذ يقول: " وهنا يتّضح للباحث أن البديعيين –بوعي أو بدون وعي- أحكموا الربط بين تشكيلاتهم، وتوصيفاتهم برباط كلّي يجعل من رصد الظواهر البديعية وسيلة للوصول إلى الدلالة في صورتها الكلّية"[2]، ومع هذا الإقرار يبقى أكبر عائق أمام علوم العربية عامة، وعلم البديع خاصة هو هذه النظرة الجزئية لتي قد تقف حجر عثرة أمام الباحث عن جوانب الجمالية والفنية والأدبية في هذه العلوم، والأثر الجمالي الذي تخلفه في النصّ من جهة، وفي المتلقي من جهة أخرى، وهي القضية التي توقف عندها أمين الخولي في مؤلفه "فن القول"؛ حيث دعا إلى ضرورة تجديد الفن البلاغي بفنونه الثلاثة، وتجاوز حدود البحث فيه من الجملة/ القضية[3] إلى مستوى أرحب وأوسع.

3. علم البديع ومحاولات التجديد الحديثة:

أمام سيطرة النظرة التقليدية التعليمية لفنون البديع في الدراسات العربية قديمها ومحدثها، لاحت في بعض الأحيان بعض الممارسات العربية الحديثة التي حاولت أن تعطي نفسا جديدا لهذا الفن، وتحمله أدوارا أخرى في المتن النصي العربي، وقد كانت محاولة محمد العمري في مؤلفه " الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة العربية" وكذا محاولة محمد عبد المطّلب في مؤلفه " بناء الأسلوب في شعر الحداثة" وأيضا مساهمة أمين الخولي في مصنفه "فن القول" وسعد مصلوح في عمليه البارزين " نحو آجرومية للنص الشعري" و " مشكل العلاقة بين البلاغة والأسلوبيات اللسانية"، وصولا إلى محاولات جميل عبد المجيد في دراسته المعنونة بك "البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية" وغيرها.

وبالعودة إلى محاولة أمين الخولي فإنها تبدو رائدة في مجاله، ومبكرة في الوقت نفسه، حيث كانت سنة 1939، لكنها لم تلق الأذن المصغية حينها، ولو تم إعطاؤها الأهمية اللازمة في حينها لعدّت سبقا كبيرا وفتحا عظيما في الدراسات العربية؛ ذلك أنها سبقت بسنوات أولى الدراسات الغربية الواعية والمنادية بضرورة الانتقال في البحث اللغوي من حدود الجملة الضيقة إلى آفاق النص الرحبة، ونقصد بهذا صنيع زليغ هاريس (**Z. Harris**)وهاليداي ورقية حسن (**Halliday.R.Hasan**) وغيرهم ممن تزعم البحث النصّي الحديث، وقد علّق على هذا الأمر الباحث سعد مصلوح مبديا استغرابه وتعجبه من عدم الانتباه إلى تلك الدعوات التي نادى بها أمين الخولي، وفي هذا الشأن يقول:" وأعجب كيف مرّت هذه الدعوة ولم تجد لها صدًى على صعيد النظر، إلا فيما كتبه رصيفه "أحمد الشايب" في كتابه "الأسلوب" الذي صدرت طبعته الأولى سنة 1939، أما على صعيد التطبيق فلم نعثر لها على أثر، وكانت هذه الفكرة حرية إذا وجدت من يتابعها من اللسانيين والبلاغيين أن تحدث ثورة في الدرس اللساني والبلاغي تنتقل به من نحو الجملة إلى نحو النص وبلاغة النصّ"[4].

وإذا عدنا إلى صنيع أمين الخولي بشيء من التفصيل تبدّى لنا أنه يرى البحث عن جمالية الفن القولي يتأتى بداية من خلال توسعة مجال النظر والبحث، والتطبيق أيضا حيث يقول:" وأما التحلية فبأشياء منها توسعة دائرة البحث، وبسط أفقه، فلا يقصر على الجملة كما كان

[1] أمل سلمان حسان، الأساليب البديعية من منظور اللسانيات النصية: خطاب عبد الله ابن المقفع نموذجا، دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2017، ص33.

[2] محمد عبد المطّلب، المرجع السابق، ص110.

[3] إن هيمنة المنطق على كثير من مباحث العربية هو الذي جعل الدارسين يقفون مطولا عند حدود الجملة لا يتعدونها، لأنها تقابل بلا الشك القضية في المنطق.

[4] سعد مصلوح، "مشكل العلاقة بين البلاغة والأسلوبيات اللسانية"، أبحاث مؤتمر قراءة جديدة لتراثنا النقدي، 19- 24 نوفمبر 1988، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ص 839، 840.

في القديم من عمل المدرسة الكلامية الذي لم يأت المدرسة الأدبية بعده بشيء ذي عناء، فإننا اليوم نمدّ البحث بعد الجملة إلى الفقرة الأدبية، ثم إلى القطعة الكاملة من الشعر أو النثر، وننظر إليها نظرتنا إلى كل متماسك، وهيكل متواصل الأجزاء، ونقدّر تناسقه وجمال أجزائه وحسن ائتلافه"[1]، وهي القضية التي تلقفها كل من صلاح فضل وسعد مصلوح؛ حيث يرى صلاح فضل أن أسباب تحجر الدرس البلاغي عموما والبديعي بصفة خاصة ترجع إلى أمرين أساسيين:

أما الأول فهو بقاء نماذج البحث والدراسة في الأطر الضيقة والنماذج الجزئية، والمبتورة أحيانا حيث يقول:" وإذا كان عيب البلاغة التقليدية القاتل أن أفقها لم يتجاوز الوحدات الجزئية، فإن ذلك قد انتهى بها إلى عدم القدرة على تحليل الدلالة الفعلية لهذه الوحدات، إذ يتّضح في ضوء المفاهيم الكليّة الحالية ابتداءً من نظرية الجشطلت التي أصبح مسلما بها معرفيا، أن وجود الوحدات وفاعليتها الوظيفية مرهون بموقعها من النصّ، ودرجة كثافته، ودورها في متتالياته، وأن اتساقها في منظومات عريضة تشمل رقعة النصّ، وما يتعالق معه هو الذي يحدد كفاءتها التعبيرية والجمالية الخالصة، ولا يمكن استيعاب هذه الشبكة المتراتبة من التصوّرات دون استخدام مفهوم البنية في تحليل الأشكال البلاغية"[2].

وأما الثاني فهو ضرورة تشبّع التحليل البلاغي بعلوم العصر، ومستجدات البحث اللغوي، والإلمام بمناحي الدرس الأسلوبي واللساني والتداولي، وغيرها من منظومات التحليل والبحث والقراءة، وفي هذا الشأن يقول:" وإذا كانت البلاغة الكلاسيكية قد أدركت درجة عالية من التقنية المحددة من إرهاف الأدوات التحليلية المتّصلة بما وراء اللغة، طبقا للمنظومات السائدة في عصرها، فإن هذا قد جعلها مهيّاة لأن تخطو في العصر الحديث لأداء دورها كأجرومية أو نحو لإنتاج الخطاب، بالتركيز على الجوانب الشكلية العامة من جانب، دون العودة إلى المعيارية القبلية، وبالوصول إلى الشفرة العالية لأنماط النصوص من جانب آخر طبقا لموقف المرسل من المتلقي، وطبيعة الرسالة ذاتها، مما يدخل في صلب النصّ"[3]، وهي الدعوة التي تلقفها كثير من الدارسين والباحثين المحدثين " نريد للبلاغة هذه أن تتعامل مع النصوص المختلفة تعاملا علميا وظيفيا جديدا ضمن مجموعة من الاتجاهات الأسلوبية والسيميائية والتداولية واللسانية، بلاغة تنفتح على الحقول المعرفية كافّة، لا أن تبقى معزولة مكتفية بذاتها، بلاغة تتجاوز التحليل الجزئي والنظرة المبسترة"[4].

ولعل هذه الدعوة المهمة قد تجلت فعليا في أعمال الباحث "سعد مصلوح" ، وذلك في محاولاته المتعددة للربط بين الدرس البلاغي عامة والبديعي بصفة خاصة وبين اتجاهات الدرس الحديثة؛ وخاصة ما تعلق منها بمناحي الأسلوبية والتداولية واللسانيات، نظرا لأن الانفتاح على هذه الحقول المعرفية بإمكانه أن يقدم الإضافة المنشودة في هذا الحقل، ويجنّب مجال البلاغة من حالة التحجّر والجمود التي طبعتها، خاصة بعد عصور طويلة من الاجترار، والتلخيص على مستوى التنظير، وعصور من التقليد والتكلّف على مستوى الإبداع الأدبي.

تتجلى دعوة "سعد مصلوح" في محاولة ربط الدرس البلاغي والبديعي بآخر ما توصلت إليه حقول اللسانيات والأسلوبيات والتداوليات وتحليل الخطاب، وهو ما سيعطي البديع نفسا آخر جديدا، خاصة في تلك المحاولات الأولى التي ربط فيها بين البديع واللسانيات النصّية " منذ منتصف القرن العشرين، وبفضل ما قدمته الحقول المعرفية من قبيل الأسلوبية والتداولية والسيميائية واللسانيات النصّية من مصطلحات وأدوات إجرائية، وإدراكا لواقع لغوي بدأ يفرض نفسه على الساحة الأدبية والبلاغية، ولم يكن ميسورا تجاهله، هذا الواقع اللغوي هو انتقال

[1] أمين الخولي، فن القول، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، دط، 1996، ص239، 240.

[2] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، دط، 1992، ص122.

[3] المرجع نفسه، ص233.

[4] أمل سلمان حسان، المرجع السابق، ص 31.

بؤرة الاهتمام إلى النص بدلا من السامع أو المتكلم"[1]، وبهذا التصور يبدو لنا جليا التناول الجديد لعلم البديع، وقد تمّ من خلال الاستفادة من حقول المعرفة الجديدة في سبيل استخراج أقصى طاقات هذا الفن التعبيرية والجمالية والنصّية، وفي إبراز مدى مقدرتها على تحقيق تماسك النصوص وانسجامها ، وبالتالي برز علم النص كأكثر مجالات المعرفة استثمارا في تقديم قراءة جديدة لفنون البديع " فلقد تناوله البلاغيون المحدثون تناولا جديدا أبرزوا فيه فاعليته في ربط أجزاء النصّ متخذين من منهج لسانيات النص (**textlinguistic**) سبيلا إلى ذلك، فلقد نظر إلى النص كلاً شاملا متكاملا، ولم يقف عند جزئيات منه كما فعل السابقون من البلاغيين الذين وقفوا عند حدود الجملة ما عدا عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) الذي كان نظره مختلفا حين نادى بنظرية النظم"[2]، خاصة إذا علمنا أن سعد مصلوح يقر بأن الاعتماد على اللسانيات النصية في إعادة قراءة البديع سيقدم بلا شك ثمارا هامة حيث يقول: " ولعلّ في التراث البديعي من الثراء والخصوبة من هذه الوجهة ما يحفّز الجادين من الباحثين إلى استفراغ وسعهم في إعادة تشكيل هذا العلم من منظور نصّي"[3].

وقبل هذا كان الباحث "جميل عبد المجيد" قد تلقف دعوة "أمين الخولي" إلى ضرورة الانتقال بالدرس البلاغي والبديعي من حدود الجملة إلى آفاق النصّ بصدر رحب وعبّر عن ذلك بقوله:" والدراسة البلاغية –فيما نعلم– التي دعت إلى تجاوز البحث البلاغي من إطار الجملة إلى إطار النصّ هي تلك الدراسة الرائدة للأستاذ أمين الخولي (...) وهي دعوة جدّ مهمّة وجدّ قيّمة، وتتّصل اتّصالا وثيقا بالآفاق الجديدة التي تسعى هذه الدراسة إلى ارتيادها"[4]، وقد حاول استثمار طاقات علم البديع في تحقيق الوظيفة التلاحمية في النصوص منطلقا في ذلك من مقولات لسانيات النص.

إن دراسة الباحث "جميل عبد المجيد" قد أعادت قراءة علم البديع من جديد، وحوّلت أنظار المهتمين والمتخصصين إلى الوظيفة الجديدة لهذا العلم، بعد أن طُبع في أذهانهم لقرون طويلة أن وظيفته لا تتعدى مجرّد التحسين الشكلي والمعنوي، وهذا التحديد المتوارث من عهد السكاكي (ت626هـ) والقزويني (ت682هـ) قد بدأ يفقد مفعوله بعد توظيف آليات القراءة النصّية، فأصبح الدارس على إثر هذا التحوّل يبحث عن إمكانات أخرى يقدمها هذا العلم في النسيج النصّي تتعدّى حدود التحسين إلى آفاق أخرى جمالية وتلاحمية؛ إذ قد تتحول فنون البديع إلى أدوات تضمن الترابط الشكلي على مستوى البنية السطحية للنصوص، كما قد تتحول إلى آليات تضمن الاستمرارية الدلالية في البنية العميقة للنصوص " وهنا تتجلّى وظائف البديع بوصفها أدوات ربط توحّد أجزاء النصّ المتفرّقة وتمنح النصّ الحيوية وتحافظ على وحدته"[5]، وهذا الربط بين البنيتين السطحية والعميقة يتم وفق آليتين اثنتين:

أولاهما: عملية الربط من خلال الأدوات الشكلية؛ أي على المستوى السطحي للنصوص حيث تتجلي من خلال "التكرار بأنواعه والمصاحبات المعجمية، فهذه الأساليب تحدث قوة سابكة حين تظهر في جمل تمتدّ بأجزاء من النصّ"[6]؛ فكثيرا ما تتوسل هذه المحسنات بأدوات شكلية لغوية تظهر على سطح النص فتؤدي بلا شك إلى ربط السابق باللاحق أو تحقق ما أصبح يعرف بالاتساق النصّي.

ثانيهما: عملية الربط المفهومي وهي عملية دلالية تتم من خلال البنى العميقة للنصّ حيث تتجلّى أساليب البديع " في عالم النصّ فتعمل على ربط أجزاء النصّ بالبنية الدلالية، وهي تسمح للنصّ بأن يفهم ويستعمل وهي نوعان : دلالية وتركيبية"[1] والمقصود بالروابط الدلالية

[1] أمل سلمان حسان، المرجع السابق ، ص35

[2] المرجع نفسه، ص12.

[3] سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، لجنة التأليف والتعريب والنشر، جامعة الكويت، دط، 2003، ص237.

[4] جميل عبد المجيد، المرجع السابق، ص 57.

[5] أمل سلمان حسان، المرجع السابق، ص 36.

[6] م ن، ص ن.

تلك العلاقات التي تنسج على مستوى البنية العميقة للنص "فلها أهميتها على مستوى تقبّل النصوص من قبل المتلقّي وتأثيرها فيه، وهي تعطي للنص مظهره ووحدته"[2] ، وأما الروابط التركيبية "فهي تسهّل على السامع التعرّف على بناء القاعدة الدلالية في النصّوص وفهم ذلك البناء"[3].

وبهذا التصوّر يمكن القول اليوم: إن علم البديع قد خطا خطوة جديدة على أيدي مثل هؤلاء الدارسين واكتسب وظيفة جديدة في النسيج النصّي، تختلف بلا شكّ عن الوظيفة التي حددها المتقدّمون، وعلى رأسهم السكاكي (ت 626هـ) والقزويني (ت682هـ) ومن جاء بعدهما ملخصا وشارحا، ومعلّقا، فتحوّل علم البديع من علم مصاحب للبيان والمعاني، إلى علم أساسي يمكن استثمار مفاهيمه وإجراءاته في تقديم صورة أكثر جمالية للنصوص ، وأكثر مساهمة في انسجام النصّ بما تحمله فنون هذا العلم من قدرة على أداء مجموعة غير قليلة من العلاقات الدلالية في النسيج النصّي بما يجعلها تتوزّع على رقعة أكبر في النصّ ، وهو ما يؤهلها لأن تجمع بين عناصره بهذا التوزيع "وتغدو هذه الفنون بحكم ما فيها من علاقات دلالية مؤهلة للإسهام في الحبك ، كما تغدو بحكم تجاوز معظمها مستوى البيت والجملة من جهة، وقابليتها للتحقق على مستوى الفقرة والنصّ من جهة أخرى، تغدو مؤهلة للإسهام في الحبك فيما بين الجمل والفقرات والنصّ بتمامه"[4].

وما كان لعلم البديع أن يتبوّأ هذه الوظيفة لولا تآزر جهود الدارسين في تحوير شكل الدراسة اللغوية والأدبية من حدود المثال الشعري، والجملة، إلى آفاق رحبة قادرة على احتواء جمالية هذا العلم وإبراز مكانته، كما لم يكن له أن يبلغ هذه المنزلة لولا الاستفادة العظيمة من علوم العصر اللغوية وغير اللغوية على غرار مقولات التداولية والأسلوبية ولسانيات النصّ وتحليل الخطاب ، وبهذا يمكن القول: إن علم البديع بهذا التناول قد تحوّل من وظيفة التحسين التي رسمها القدامى إلى وظيفة أخرى نصيّة جمالية عند الدارسين المحدثين.

وإننا نتساءل في هذا المقام عن مدى حضور الوعي بأهمية البديع في تحقيق الوظيفة النصّية باعتبار ها –كما يشير الدارسون المحدثون– كل ما يجعل من بنية لغوية ما نصّا، قلنا: إننا نبحث هنا عن مدى الوعي العربي بهذه المنزلة التي تبوّأها البديع في الدراسات الحديثة، ومدى حضورها في الممارسات العربية التطبيقية أيا كان نوعها؟

يمكن لمدونة علوم القرآن التفسير تحديدا أن تقدم بعض الإجابات الشافية في هذا المجال، بما حوته من اهتمام بألوان البديع في النسيج النصّي للقرآن، وهو اهتمام يبرز أحيانا ويخبو في أحايين أخرى، ويأخد منحى رتيبا تقليديا لا يتعدى مجرّد تكرار للمقولات السابقة في تحديد وظائف البديع، وأحيانا أخرى يأخذ منحى ثوريا في التعامل مع مكونات البديع ، ولا غرابة في هذا الأمر ما دامت هذه المدونة توصف بكونها من أهم المدونات العربية اتساعا وقدرة على بلورة المفاهيم الإجرائية الحديثة، ذلك أنها تعاملت مع نص كامل متكامل، ووظّفت كثيرا من الآليات الإجرائية والمفاهيم الحديثة في مجال التعامل مع النصوص والخطابات، فطبيعي جدا أن تشمل هذه المدوّنة ما يشفي غليل الدارس والباحث عن مدى الوعي بالمظاهر النصّية للبديع، وقد كانت لنا إشارة سابقة للزركشي (ت794هـ) والسيوطي (ت911هـ) حين خصصا أبوابا مستقلة لهذا العلم في مصنفاتهما، وتجلى أيضا هذا الاهتمام عند كثير من المفسرين والمشتغلين بالنص القرآني على تفاوت بينهم، وهو الأمر الذي سنقف معه بشيء من التفصيل.

---

[1] م ن، ص ن.

[2] محمد شاكر ناصر الربيعي، أحمد جاسم مسلم الجنابي، "الأشكال البديعية في ضوء الانسجام في القرآن"، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، ع 17، 2014، ص451.

[3] م ن، ص ن.

[4] جميل عبد المجيد، المرجع السابق، ص174.

4. البديع وانسجام النصّ القرآني في مدونة علوم القرآن:

1.4. في مفهوم الانسجام النصّي:

إن مصطلح الانسجام النصّي مصطلح حديث نسبيا، تبلور مع بحوث لسانيات النصّ وتحليل الخطاب، حيث يعد مفهوما محوريا في النظرية النصّية، ذلك أنه أحد دعائم النصّية بما هي كل ما يجعل من بنية لغوية ما نصّا وهذا بحسب ما نصّ عليه روبرت دي بوجراند (**R. De Beaugrande**) في معاييره المعروفة: الاتساق ، الانسجام، القصدية، المقبولية، رعاية الموقف، التناص والإعلامية[1]، حيث يغدو الانسجام النصّي أحد أهم هذه المعايير عل الإطلاق، ذلك أنه يعنى بكل ما يضمن الاستمرارية الدلالية في البنية العميقة للنصوص، وهو يحيل إلى كلّ أشكال الترابط الدلالية والتداولية التي تحكم أجزاء النصوص بعضها ببعض بما يحقق معيار النصّية.

وإذا كان الاتساق[2] يشير إلى تلك العلاقات الشكلية والأدوات الصورية التي تجمع بين أجزاء النصّ على المستوى السطحي أي " إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق بحيث يتحقق بها الترابط الرصفي وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط"[3]، فإن الانسجام يبدو أعمق من ذلك بكثير ذلك، أنه يتحقق " من خلال وسائل دلالية في المقام الأول، ويتمثل في بنية عميقة على المستوى العميق للنصّ، تقدّم إيضاحا لطرائق الترابط بين تراكيب تبدو غير متّسقة أو مفككة على السطح ، فهو ذو طبيعة دلالية تجريدية تظهر من خلال علاقات تعكسها العناصر اللغوية في النصّ"[4]؛ فهو لا يُعنى مطلقا بعمل العناصر الشكلية، بقدر ما يعنى بشبكة العلاقات الدلالية التي تضمن طابع الاستمرارية الدلالية على مستوى البنية العميقة للنصّ، وإن توسّلت هذه الشبكة بوسائل لغوية بعينها.

إن هذا المفهوم الذي ذكرنا يشير في الحقيقة إلى زاوية واحدة بعينها من زوايا النظر والبحث في الانسجام النصّي، وهي النظرة التي تزعّمها (فان دايك**Van Dijk**) والتي يمكن أن نصنّفها ضمن مجال "لسانيات النصّ" تأسّياً بما صاغه محمّد خطابي في مؤلّفه: "لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب" ، حيث يرى هذا الاتجاه أن الانسجام أمر معطى في النص[5]، وهو من باب تحصيل الحاصل فيه، وأما الرؤية الأخرى –والتي نراها أكثر أهمية وانسجاما مع هذا المفهوم – فهي الرؤية التي أسس لها الباحثان (ج. براون، ج ب يول **G.Brown, G Yule**) في كتابهما "تحليل الخطاب"[6] ، حيث جعلا الانسجام النصّي أمرا غير معطًى في النصّ أصلا، وإنما يصنعه القارئ والمتلقّي بفعل عملياته التأويلية، وبالتالي فإن البنى اللغوية المتراصفة والمنتظمة بروابط شكلية، وذات نسق تركيبي صحيح متّسق مع قواعد النحو، كلّها لا تنشئ بالضرورة نصّا منسجما ملتحما، وإنما يصنعه القارئ أو المتلقي بفعل عملياته التأويلية والذهنية، وخبراته السابقة في تأويل

---

[1] ينظر: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998، ص103.

[2] حدث خلط كبير بين الدارسين المحدثي في نقل وترجمة مصطلحي (اتساق cohesion) و (انسجام coherence) ، ولمزيد من التفصيل في هذا الأمر يرجى العودة إلى: ميلود مصطفى عاشور، إياد عبد الله، " فوضى تعريب مصطلحي (cohésion- cohérence) في لسانيات النص وتحليل الخطاب"، مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، ع 10، أفريل 2016. وكذا رشيد برقان، آليات ترابط النصّ القرآني ،أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 2015، ص 30 وما بعدها.

[3] روبرت دي بوجراند، المرجع السابق، ص99.

[4] محمد شاكر ناصر الربيعي، أحمد جاسم مسلم الجنابي، المرجع السابق، ص452.

[5] لمزيد من التفصيل ينظر: محمّد خطابي، لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1991، ص ص 25-46.

[6] لمزيد من التفصيل ينظر: ج ب براون، ج يول، تحليل الخطاب، تر: محمّد لطفي الزليطي، منير التريكي، منشورات جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، دط، 1997.

النصوص، إلا أن هذا لا يلغي مطلقا شأن السلامة اللغوية في بناء النصّ المنسجم " فما يجعل نصّا من النصوص منسجما لا صحّة بنائه النحوي فقط، بل هناك عناصر تبني انسجامه تفوق حدوده النحوية والصرفية، وبالتالي يركز براون ويول على طريقة فهم/ تأويل الرسالة التي ربطاها بسياق ورودها، وظروف إنتاجها مع الاهتمام بالقارئ أو المستمع الذي يحدد فهمه للرسالة مدى انسجامها"[1]، وبالتالي تقحم هذه المقاربة التي أسس لها هذان الباحثان عناصر أخرى في التحليل النصّي متمثّلة في الجوانب التداولية وعلى رأسها عناصر السياق والمتلقي أساسا، وهي عناصر لها أهميتها في الحكم على نصّ ما بكونه منسجما أو غير منسجم، وهي الفكرة التي تبنّاه "المعجم الموسوعي للتداولية" إلى حدّ ما حين أشار إلى أنه " كي يكون النصّ منسجما ليس من الضروري أن تشير خصائصه الشكلية صراحة إلى العلاقات بين الأقوال، فهذه العلاقات يمكن الحصول عليها عن طريق الاستدلال، إما بمقدّمة ضمنية، وإما بفرضية سياقية، وإما بخطاطة أعمال منظمة (سكريبت أو خطة أو سيناريو)"[2] ونفس الزاوية نجدها في معجم " المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب" إذ جاء فيه:" إن الانسجام ليس ثاويا في النصّ، بل إن المتلفّظ المشارك هو الذي يتولّى بناءه (...) إنّ الحكم الذي يقضي بأن النصّ منسجم أو غير منسجم قد يتغيّر وفق الأفراد ووفق معرفتهم بالسياق والحجّة التي يخوّلونها للمتلفّظ"[3].

ومهما اختلفت الآراء حول مفهوم الانسجام النصّي، فإن ما لا يختلف فيه اثنان اليوم هو أن هذا المبدأ يعدّ أهم المفاهيم المركزية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، وأحد دعائم النصّية بالمفهوم الذي أشار إليه روبرت دي بوجراند(R. De Beaugrande) ، وهو في أبسط مفاهيمه يشير إلى تلك العلاقات الدلالية والإجراءات التداولية التي تحكم بنية النصّ الكليّة على مستوى البنيات العميقة للنصوص، وقد لا تتجلى هذه الإجراءات، وهذه العلاقات ظاهرة على المستوى السطحي أحيانا، إلا أن هذا لا يعني مطلقا عدم اعتمادها على وسائل شكلية، وأدوات نحوية .

2.4 الانسجام النصّي في مدونة علوم القرآن:

سيطر النظر الجزئي على فترات هامة من مسيرة الدرس العربي بمختلف توجهاته اللغوية والبلاغية والنقدية ...إلخ، وقد كان هذا الفعل متأثرا بالعوامل الحضارية التي تزامنت مع هذا النظر؛ من هيمنة الفلسفة والمنطق على كثير من الدراسات اللغوية العربية وخاصة في ميادين النحو والبلاغة، وقد ترافق ذلك مع غياب أدوات التحليل والدراسة التي تمكّن من مواجهة مستويات أخرى أكبر (النصّ) .

قد لا يصدق هذا الحكم على بعض أشكال الدراسة والبحث في تراثنا –كا أسلفنا سابقا– فقد اشتمل تراثنا على إشارات قوية أحيانا، وممارسات فعلية في أحايين أخرى تنبئ بوجود النظر الكلي والممارسة النصّية في هذا الإرث العربي الضخم، وقد حاول عدد غير قليل من الدارسين[4] لفت انتباه القارئ والدارس إلى هذه الأشكال، فبيّنوا مدى الوعي الحاضر عند بعض الدارسين، وفي بعض مناحي الفكر العربي بالممارسة النصّية، وتكفينا العودة إلى مباحث الفصل والوصل، والنظم والتعليق عند عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)، ومفهوم الفصل عند حازم القرطاجنّي (ت 684هـ) وكيفيات التحام الفصول عنده، والتئام الأجزاء عند الجاحظ (ت255هـ) وغيرها من المباحث، لنتبيّن بيسرٍ حضور هذا المعطى في تحليلاتهم وممارساتهم.

---

[1] حياة مختار أم السعد، تداولية الخطاب الروائي: من انسجام الملفوظ إلى انسجام التلفظ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2015، ص 45.

[2] جاك موشلر، آن ريبول، المعجم الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف: عزّ الدين المجدوب، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط2، 2010، ص500.

[3] دومنيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمّد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص18.

[4] يستعصي علينا حصر هذه النماذج كلها في هذا المقام، ولكننا نكتفي بالإشارة إلى جهد رائدين كبيرين في هذا المجال هما: محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، وكذا محمّد الشاوش، أصول نظرية تحليل الخطاب في النحو العربي، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2001.

لكن تبدو مدوّنة علوم القرآن وخاصة مباحث التفسير أكثر هذا التراث الذي تجلّت فيه الممارسة النصّية بارزة، ذلك أنها جعلت لها موضوعا شاملا هو النصّ القرآني " لقد كانت الفرصة مهيّأة أمام علماء القرآن لأن يتجلّى المنهج على أيديهم بيانا ساطعا، وخطى محددة أكثر من غيرهم، وأن يتّسع أمامهم البحث ليجاوز حدود الجملة إلى الخطاب فقد وجدوا أنفسهم إزاء نصّ آمنوا بداية باتساقه وانسجامه، وكان لهذا مداه في مقاربتهم التي اختلفت عن غيرها من المقاربات التراثية التي لم تقارب موضوعا له كل هذا الحظ من الاتساق والإيمان به، ويمكننا لتأكيد ذلك أن نقارن هذا النظر حول انسجام النصّ الكريم بالجدل الذي أثاره القدماء والمعاصرون حول النصّ الشعري وتوزّعه على أبيات وأغراض"[1].

لقد تجلّت النصّية عند المفسرين والمشتغلين بعلوم القرآن عامّة في تلك المحاولات الجادّة عندهم لإبراز إعجاز النصّ القرآني من خلال إبراز متانة سبكه، وصحّة بنائه، كيفيات هذا البناء، وإبراز شبكة العلاقات التي ينشئها النص مع سياقه التاريخي (أسباب النزول) أو الجغرافي (المكّي والمدني) ، ومحاولات نفي التفكك عن آياته وسوره، خاصة وقد تزامن ذلك مع دعوات مغرضة تسعى إلى الطعن في بنية ونصّية القرآن من جهة، وتطعن في مصدره الإلهي من جهة أخرى، ونقصد بهذه الدعوات تلك المزاعم الشيعية التي تأسست عليها لاحقا بعض دعوات المستشرقين الحاقدة، وقد استغلت هذه الدعوات الطبيعة البنائية للنص القرآني الذي يختلف فيه ترتيب التلاوة عن الترتيب التاريخي (ترتيب النزول)، وهذا ما جهد الدارسون أنفسهم لإبرازه، وإبراز السمة الإعجازية من وراء هذا البناء المتفرّد، وقد أفرزت هذه الردود وأشكال الدفاع المختلفة عن النص القرآني تراثا لا بأس به للتأسيس لنظرية عربية في انسجام النص القرآني، وفي انسجام النصوص عامة.

لقد أفرزت هذه المحاولات مباحث جليلة يمكن أن نصنّفها ضمن بواكير النظر النصّي في التراث العربي، ونقصد بهذه المباحث :مبحث المناسبة النصّية، والسياق ممثلا في أسباب النزول والمكّي والمدني، والأشباه والنظائر، ومباحث العلاقات الدلالية من بيان وتفسير، وإجمال وتفصيل، وعام وخاص...، وغيرها من مباحث تأسيسية لممارسة نصّية عربية واعية في تراثنا.

إن أكثر ما يهمنا في هذا الموضوع –والذي يبدو أقرب إل مجال بحثنا– هو قضية دور العلاقات الدلالية في انسجام النصّ القرآني عند المفسرين والباحثين في النصّ القرآني[2]، ذلك أن المفسرين قد جهدوا أنفسهم في بحث العلاقات الظاهرة والخفية التي تجمع بين أجزاء النصّ القرآني، ولا يخفى علينا أن مبدأ تحديد العلاقة بين أجزاء النصّ هو في الحقيقة أحد أهم مبادئ الانسجام النصّي وفق ما توصّل إليه البحث اللساني الحديث، وبالتالي فإن الحكم على انسجام نصّ ما يمرّ بطبيعة الحال عبر إيجاد شبكة العلاقات التي يبنيها النص في المستوى العميق له، فضلا على المستوى السطحي والظاهري، وشبكة العلاقات التي ينشئها بين وحداته اللغوية المختلفة ، وكذا العلاقات التي يقيمها مع سياقه وظروفه ومع المتلقي تحديدا "تحديد العلاقة بين المفاهيم والموضوعات، وديناميةالتفاعل مطلب يستدعيه معيار الانسجام، بل يلحّ عليه، وبخاصّة أن لكلّ نصّ نمطا معيّنا من الترتيب والتنظيم؛ فله نقطة بداية ونقطة نهاية، وبينها مراحل من النموّ والتفاعل القائم على التدرّج والتنامي، وتوالد الآخر من السابق، وامتداده له، وتهيئته للآخر"[3]، فقد حاول المفسرون وعلماء القرآن استثمار العلاقات الدلالية في إثبات تلاحم النصّ القرآني، هذه العلاقات قائمة بين آياته وسوره وموضوعاته وقد قسمها بعض الدارسين إلى نوعين:

النوع الأول: هو العلاقات ذات الامتداد البلاغي والبديعي تحديدا، أي تستمدّ وجودها ومشروعيتها من علم البديع وقد سمّوها "آليات الاستمرار"، أما الآخر فهو العلاقات ذات الامتداد المنطقي، وقد سمّوها العلاقات المنطقية " وآليات التلاحم لا جامع بينها سوى

[1] محمّد عبد الباسط عيد، النصّ والخطاب قراءة في علوم القرآن، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 2016، ص14.

[2] ينظر: محمد خطابي، المرجع السابق، ص 187.

[3] فخرية غريب قادر، الانسجام في الخطاب القرآني: دراسة نصيّة في السور الموسومة بالعتاق الأول، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2017، ص 23، 24.

المستوى المفهومي، حيث إننا نجد ضمنها صنفين على الأقل؛ الأوّل بلاغي ، أي أن الأصل فيه هو البلاغة ويحتوى على أغلب المصطلحات البلاغية التي تسهم في تلاحم النصّ على الصّعيد المفهومي، وسوف نطلق عليها آليات الاستمرار؛ لأنها تضمن استمرار المعلومات، والصنف الثاني معرفي ذهني يتعلّق بكيفية اشتغال الذهن الإنساني أثناء فهم نصّ معيّن، ولحم أجزائه، وسنطلق عليه الآليات المنطقية"[1].

يلفت انتباهنا هذا التقسيم الفريد للعلاقات الدلالية، وخاصة القسم الأول منها، أي آليات الاستمرار ذات البعد البديعي؛ وهي التي تتأسس على الطاقات الفنيّة والجمالية التي تقدّمها فنون البديع، فتتحول إلى آليات تضمن الاستمرارية الدلالية في بنية النصّ، وقد تنبّه عدد كبير من المفسرين وعلماء القرآن إلى هذا الأمر حيث وظفوها كعوامل مساهمة في ضمان انسجام النصّ القرآني، فأعطوها الأهمية التي لم تلقها –ربما– في مجال البلاغة خاصة في عصر ضعفها وانحطاطها، وبالتالي فإن تناول المفسرين لها في عملية التفسير، وفي محاولة إثبات انسجام النصّ القرآني وتلاحم أجزائه ومن تم إعجازه، قد أعادت شحن هذا الفنّ بشحنات إضافية تهيّئه إلى إعادة تصنيفه من جديد ضمن حقول معرفية أخرى " وآليات التلاحم التي سوف نطرحها هنا لم تكن مدروسة من قبل على أنها آليات تلاحمية أو ترابطية، ولكنها طرحت غالبا باعتبارها أدوات زخرفة وزينة خصوصا مع البديعيين، وآليات تناسبية مع علم المناسبة بوصفه علما من علوم القرآن، ولكن تعريفها وكيفية تناول المفسرين لها يسمح بافتراض أنها تلعب دورا في استمرار النصّ وتلاحمه"[2] وهذا ما يفتح أمامها المجال لإعادة التصنيف ضمن الجهاز المفاهيمي لأية نظرية أخرى، أو مجال آخر قادر على استنطاق مكنوناتها وجمالياتها " والحقيقة أن المصطلحات البلاغية لم تقدّم يوما نفسها بشكل محصور في حيّز واحد، ولكنّها كانت دائما تظهر من المرونة ما يجعلها قابلة للتصنيف وإعادة التّصنيف"[3].

ولعلّ هذا التصنيف يجرّنا إلى الحديث عن الكيفية التي يتحقق بها الانسجام النّصّي من خلال العلاقات الدلالية التي تنتج عن فنون البديع المختلف؟

إن أول وظيفة نصّية يمكن أن تقوم بها فنون البديع في النصّ عموما والنص القرآني بصفة خاصّة، هو ربط معاني النصّ بعضها ببعض ربطا قد يمتدّ على مساحات واسعة منه، وبتعبير آخر فإنّ " أساليب البديع تستمدّ وظائفها النصّية من السياق الذي ترد فيه، فهي تخلق انزياحا خاصّا بها، تنتقل الدلالة بموجبه من معنى إلى آخر يمتدّ إلى مساحة واسعة من النصّ لا يمكن تقييده بشاهد أو مثال"[4] ، وبهذا التحليل الموسّع تتلافى –بلا شك– تلك المطبّات التي وقع فيها دارسو البديع ؛ من اعتدادهم بالمثال والشاهد دون إعطاء الوظيفة النصّية المطلوبة له، وهنا تبدو الدعوة التي أسس لها "أمين الخولي"، فتغدو النصّية الطابع الغالب على الممارسة البديعية.

ويمكن أن نضيف إلى هذا أمرا آخر وهو كون فنون البديع تسهم في خلق نوع من "المطابقة البلاغية" التي تختلف بطبيعة الحال عن مفهوم مطابقة مقتضى الحال الذي صيغ في إطار علم المعاني، وكذا المطابقة مع المتكلم الذي صيغ في إطار علم البيان، وإنّما هي مطابقة بلاغية عامة تجمع بين الباثّ والمتلقي والنصّ، وبالتالي فإنها تسهم من جهة في إنتاج نصوص متماسكة منسجمة، ومن جهة أخرى تضفي نوعا من الجمالية والتحسين فهي " تسهم في خلق نوع جديد من المطابقة البلاغية، وهي ليست مطابقة مع السامع أفرزها علم المعاني (بلاغة الإقناع)، وليست مطابقة مع المتكلم أفرزها علم البيان (بلاغة التعبير)، وإنما هي مطابقة تتجه نحو النصّ، وفي الوقت نفسه تنطلق منه،

[1] رشيد برقان، المرجع السابق، ص161، 162.
[2] رشيد برقان، المرجع السابق ، ص 161.
[3] م ن، ص ن.
[4] أمل سلمان حسان، المرجع السابق، ص 37.

ويسهم فيها كلّ من السامع والمتكلّم، ويربط أجزاءها علم البديع، تلك هي بلاغة النص"[1]، وسنحاول فيما يأتي الوقوف على بعض النماذج التطبيقية عند المفسرين، وفي مصنفات علوم القرآن التي تبيّن الوعي الحقيق بقدرة علم البديع على تحقيق الربط المعنوي والشكلي في مساحات النصّ الواسعة، وكذا قدرته على تحقيق مجموعة من العلاقات الدلالية في المتن النصّي للقرآن على أننا سنقف عند علاقة الإجمال والتفصيل وحدها، نظرا لضيق مساحة الشرح والبيان.

3.4 دور ألوان البديع في تحقيق علاقة الإجمال والتفصيل:

أشرنا إلى أن خطاب التفسير وعلوم القرآن عامة قد فطن في وقت مبكر إلى دور العلاقات الدلالية بمختلف أنواعها في إثبات التلاحم النصّي بين آيات الذكر الحكيم، وذلك بما ينفي عنها شبهات التفكّك واللانصية، وقد كان للعلاقات الدالة على الاستمرارية دور بارز في هذا المسعى؛ ونقصد بالعلاقات الدالة على الاستمرارية في هذا الموضع –كما أشرنا آنفا– تلك التي كان لها امتداد في علم البديع ، إذ إننا نرى الدارسين يعتمدون عليها من أجل إثبات نوع من العلاقة الشكلية أو المعنوية بين آيات النص القرآني، ويسعون في أحايين كثيرة إلى بسط سلطة هذه العلاقة على مساحات واسعة من النصّ.

تتخذ هذه العلاقة أشكالا وصورا متعدّدة في المتن اللغوي، فقد تأخذ صورة: الإجمال الذي يعقبه التفصيل؛ كأن يلقى الأمر إلى المتلقّي مجملا مبهما، ثم يأتي بعد ذلك تفصيله وبيانه وتوضيحه، فتظهر العلاقة النصّية التي تجمع بين البنية اللّغويّة المجملة، وبين البنية الأخرى المفصّلة، أو قد يحدث العكس تماما بأن يلقى التفصيل والبيان، ثم بعدها إجمال كل التفصيلات السابقة.

تشير هذه العلاقة إذًا إلى "الإتيان بالفكرة العامة للمضمون حتى يتمكّن الذهن من استيعاب الدلالة، ثم توالي إدراج الجزئيات المكوّنة لها، وهو أمر يشبه إلى حدّ بعيد ما تحدّثت عنه فكرة الجشتلت (**Gestalt**) من أن المتلقّي يفهم الشكل الكلّي، ثم يدرج الجزئيات في هذا الشكل"[2]، وعملية الإمساك بهذه العلاقة بين البنيتين هي في الحقيقة بحث عن أشكال الانسجام والصلة بين البنيتين أو بين أجزاء النصّ القرآني "ولعلّ هذا من المهام المركزية للترابط، حيث يتكفّل الربط بين المجمل والمفصّل في لحم النصّ، وتبديد الإبهام الذي كان يحيط بعملية الفهم، ومن ثم فإنه يندرج ضمن آليات الترابط التلاحمية"[3].

يرى كثير من الدارسين أن هذه العلاقة يمكن أن تؤّديها مجموعة من المحسنات البديعية بكفاءة تامة في النص العربي بصفة عامة، والنصّ القرآني خاصّة، حيث يرى الباحث "جميل عبد المجيد" أنه يمكن للمحسنات التالية: اللفّ والنّشر، الجمع والتقسيم، الجمع مع التفريق، التفسير[4] ، أن تؤدي علاقة الإجمال والتفصيل أو العكس التفصيل الذي يعقبه الإجمال وفق الصور الآتية:

أ – اللفّ والنشر:

يعدّ كثير من الدارسين اللفّ والنشر من أكثر المحسنات البديعية قدرة على أداء العلاقة الدلالية (الإجمال والتفصيل)، حيث يمكن لهذا المحسّن تأدية دور آخر غير الدور الكلاسيكي المعهود (التحسين)، فيكون مفتاحا للربط بين المجمل السابق (اللفّ) والمفصّل اللاحق (النشر)، وبالتالي تظهر الجمالية فيه، وتتحقق النصّية به.

---

[1] المرجع نفسه، ص 37، 38.

[2] عزوز ختيم، الانسجام النصّي في القرآن الكريم،أطروحة دكتوراه علوم مرقونة في اللغة والأدب العربي، جامعة باتنة، 2018/2017، ص 167.

[3] رشيد برقان، المرجع السابق، ص 203.

[4] ينظر: جميل عبد المجيد، المرجع السابق، ص 173.

يعرّف السكاكي (ت 626هـ) محسن اللفّ والنشر بقوله: "أن تلفّ بين شيئين في الذكر ثم تتبعهما كلاما مشتملا على متعلّق بواحد، وبآخر من غير تعيين ثقة بأن السامع يردّ كلاّ منها على ما هو له"[1]، وقد عوّل على ثقافة المتلقّي في تعيين متعلّق كلا الأمرين المذكورين في اللفّ، وهو في هذا ينبّه إلى أنواع اللفّ والنشر ؛ فالنوع الأول منهما هو ما كان النشر على نفس ترتيب اللفّ، وأما الآخر فهو ما كان النشر غير مرتّب على نفس ترتيب اللفّ، أي معكوسا ومشوّشا، وهنا تظهر مهارة المتلقّي في تحديد متعلّق كل منهما، وقد أشار السيوطي (ت 911هـ) إلى هذا الفكرة، وذلك حين عدّ اللف والنشر من بديع القرآن فقال فيه " هو أن يذكر شيئان أو أشياء، إما تفصيلا بالنصّ على كل واحد أو إجمالا بأن يؤتى بلفظ يشتمل على متعدد، ثم تذكر أشياء على عدد ذلك،كل واحد يرجع إلى واحد من المتقدّم، ويفوّض إلى عقل السامع ردّ كل واحد إلى ما يليق به"[2]، وقد يكون الإجمال في اللفّ كما قد يكون في النشر، فتتحقق إثر ذاك الصورتان الكاملتان للعلاقة (إجمال ثم تفصيل أو تفصيل ثم إجمال)، وبهذا قال السيوطي (ت 911هـ) ، فذكر نموذجا للصورة الأولى في قوله تعالى:﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴿١١١﴾﴾ [البقرة: 111] فعلّق على حدوث الإجمال في اللّف بقوله: "وإنّما سوّغ الإجمال في اللفّ ثبوت العناد بين اليهود والنصارى،فلا يمكن أن يقول أحد الفريقين بدخول الفريق الآخر الجنّة، فوثّق بالعقل في أنه يردّ كلّ قول إلى فريقه لأمن اللبس"[3]، وأما النوع الثاني وهو وقوع الإجمال في النشر فيقول فيه: "وقد يكون الإجمال في النشر لا في اللّفّ، بأن يؤتى بمتعدد ثم بلفظ يشتمل على متعدد يصلح لهما"[4]، والأمر نفسه بالنسبة للتفصيل؛ فقد يكون في اللفّ، كما قد يكون في النشر.

ومن النماذج التي يقف عندها الدارسون ما نجده في سورة الضحى، إذ يرى السيوطي (ت 911 هـ) أن العلاقة الجامعة بين آيات السورة هي علاقة الإجمال والتفصيل التي تحققت من خلال محسن اللفّ والنّشر، حيث يقول:" وقوله ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ الآيات [6-11]، فإن قوله "فأما اليتيم فلا تقهر" راجع إلى قوله ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾، ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ راجع إلى قوله ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ فإن المراد السائل عن العلم كما فسّره مجاهد وغيره،﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ راجع إلى قوله ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ رأيت هذا المثال في شرح الوسيط"[5]، وقد أشار إلى هذا الأمر أيضا محمد الطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير، حيث إنه بعد أن فرغ من تفصيل القول في النعم الثلاثة المرتبة في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ [الضحى 6-8] أشار إلى عملية الانتقال إلى التفصيل بقوله: "وقد قوبلت النعم الثلاث المتفرع عليها هذا التفصيل بثلاثة أعمال تقابلها، فيجوز أن يكون هذا التفصيل على طريقة اللفّ والنشر المرتّب، وذلك ما درج عليه الطيبي، ويجري على تفسير سفيان بن عيينة السائل عن الدّين والهدى"[6].

وقد رأى ابن عاشور أن قوله تعالى ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ مقابل لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ فهما مرتبطان أشد الارتباط؛ أي أن هذه الآية جاءت مرتبطة بآية ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ مرتّبة ترتيبا ذكريا كما ورد عليه اللفّ، وقد وافق ابن عاشور في هذا الأمر السيوطي (ت911

[1] السكاكي، المرجع السابق، ج1، ص 425.

[2] السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تح: مركز الدراسات القرآنية،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، دط، دت، ج5، ص 1769.

[3] م ن، ص ن.

[4] م ن ، ص1769، 1770.

[5] السيوطي ، المرجع السابق، ج5، ص1770.

[6] محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1984، ج30، ص401.

هـ) حيث يقول: " فكما آواك ربك وحفظك من عوارض النقص المعتاد لليتيم، فكن أنت مكرما للأيتام رفيقا بهم، فجمع ذلك في النهي عن قهره"[1].

ويرى أيضا أن قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ مقابل لقوله تعالى : ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ حيث يقول:" لأن الضلال يستعدي السؤال عن الطريق، فالضال معتبر من نصف السائلين"[2]؛ أي أن قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ نشر انبنى على اللفّ السابق في قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ فوافق بالتالي قول السيوطي (ت911هـ) في هذا الشأن، إلا أنه يشير إلى مسألة في غاية الأهمية في هذا الموضع وهي دلالة كلمة "السائل"؛ فإذا كانت (ال) فيها للجنس، أي تعمّ كل سائل، فإن الآية كما ذكرنا مرتبطة بقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ أي يكون معناها " كلّ سائل؛ أي عما يُسأل النبيّ صلى الله عليه وسلم"[3]، وأما إذا كانت دلالة كلمة (السائل) تعني سائل المعروف فإنه جعلها مقابل قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ أي كان السؤال عن حاجة بعينها مما يحتاجه الإنسان، وبالتالي يتغير ترتيب النشر، فلا يكون على نفس ترتيب اللفّ، وهنا نجد أنفسنا أمام النشر المعكوس أو المشوّش،كما يحلو لبعض البلاغيين تسميته، وتبرز هنا مقدرة المتلقّي على الربط وإيجاد العلاقة الدلالية بين هذه البنيات اللغوية، وبالتالي صنع الانسجام وفق الرؤية التي ذكرناها سابقا والتي تجلت عند (براون ويول**G.Brown, G Yule** في كتابهما (تحليل الخطاب) وفي هذا يقول ابن عاشور: " فإن فسّر السائل بسائل معروف كان مقابل قوله ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ ، وكان من النشر المشوّش أي المخالف لترتيب اللفّ، وهو ما درج عليه الكشاف"[4].

وأما الآية الأخرى أي قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ فهي في مقابل قوله تعالى : ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ لأن " الإغناء نعمة، فأمره الله أن يظهر نعمة الله عليه بالحديث عنها وإعلان شكرها"[5]، فإذا اتبعنا الرأي السابق من كون المقصود بالسائل هو (طالب حاجة) وكان ارتباطها بالتالي بقوله تعالى ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ فإن ارتباط الآية الأخيرة سيكون بلا شك مع قوله تعالى ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ على طريقة النشر المشوّش أو المعكوس كما أسلفنا "فإن جعل قوله ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ مقابل قوله : ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ على طريقة اللف والنشر المشوّش، كان قوله "وأما بنعمة ربّك فحدّث" مقابل قوله ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ على طريقة اللفّ والنّشر المشوّش أيضا، وكان المراد بنعمة ربه: نعمة الهداية إلى دين الحقّ"[6].

وبهذا الشكل تظهر القيمة الجمالية والنصّية للفّ والنشر ودوره في تحقيق الترابط والانسجام في النص القرآني، وبهذا يمكننا أن نخرجه من دائرة التحسين البديعية إلى دائرة أوسع وأشمل هي الدائرة الجمالية والنصّية، بحيث يلعب أدوارا أخرى أكثر عمقا وفاعلية في تماسك النّصوص ، وذلك من خلال الربط بين المجمل والمفصّل وبين البنيات النصّية[7].

ب – الجمع مع التقسيم:

[1] المرجع نفسه ، ج30، 401.
[2] المرجع نفسه، ج3، ص402.
[3] م ن، ص ن.
[4] م ن، ص ن.
[5] المرجع نفسه، ج3، ص 403.
[6] المرجع نفسه، ج3، ص 403.
[7] ينظر: عبد الرحمن بودرع، الخطاب القرآني ومناهج التأويل: نحو دراسة نقدية للتأويلات المعاصرة، الرابطة المحمّدية للعلماء، المغرب، ط1، 2013، ص 144.

محسّن الجمع مع التقسيم من المحسنات البديعية التي يمكنها أن تؤدّي علاقة الإجمال ثم التفصيل، وبالتالي يمكن أن تلعب دورا في انسجام النصّ القرآني، وهو محسن يشير في أبسط مفهوم له إلى " جمع أمور متعددة تحت حكم واحد ثم تقسيمها أو تقسيمها ثم جمعها"[1] ؛ وهو بهذه الصورة يشير إلى صورتي علاقة الإجمال والتفصيل أي ؛ الإجمال ثم التفصيل، أو التفصيل ثمّ الإجمال.

وقد تنبّه المفسرون إلى أن هذا المحسّن ما هو في الحقيقة إلا تجلّ لصورة من صور علاقة الإجمال والتفصيل، ومثال ذلك ما نجده في قوله تعالى:﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: 17] حيث يقول الطيبي في تعليقه:" واعلم أن الآية من باب الجمع والتقسيم مع الجمع على أبدع ما يكون، جمع أولا الماء والفِلِزَّ[2] في حكم كونهما جامعين لمعنى ما ينتفع به الناس ولما لا نفع فيه، فإنزال الماء المحتاج إليه للنفع، وحميله –الذي هو زبد السيل– لا نفع فيه، وكذا الفلزّ؛ ما يتّخذ منه الحلي والأواني هو المنتفع به، وخبثُه الذي هو زبَدُه مما لا نفع فيه، ثم فصّل ثانيا حكم كلّ من اللّذين لا نفع فيهما على طريق الجمع بقوله (أما الزبد) إلى آخره؛ أي كل مما لا نفع فيه من زبد الماء وزبد الفلزّ، يذهب جفاء، وكل من المنتفع بهما –وهما الماء المنزّل بقدر ، والفلزّ المتخذ منه الحليّ والمتاع– يمكث في الأرض"[3].

ومنه أيضا ما ورد في قوله تعالى:﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: 32] ، حيث يشير السيوطي إلى أن هذا من باب الجمع والتقسيم[4]؛ إذ جمع ميراث الكتاب عند العباد المصطفين، وفرّق بينهم فيما بعد على طريقة التفصيل، وفي هذا الشأن يقول ابن عاشور:" ولما أريد تعميم البشارة مع بيان أنهم مراتب فيما بشّروا به جيء بالتفريع في قوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ إلى آخره، فهو تفصيل لمراتب المصطفين لتشمل البشارة جميع أصنافهم، ولا يُظنَّ أن الظالم لنفسه محروم منها"[5]، والملاحظة نفسها تقريبا سجّلها الزمخشري (ت 538 هـ) في هذا الأمر مع أنه لم يشر صراحة إلى الجمع والتقسيم، إلا أن كلامه يوحي بقضية الإجمال والتفصيل، حيث يقول:" ثم قسّمهم إلى ظالم لنفسه مجرم، وهو المرجَأ إلى أمر الله، ومقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا، وسابق من السابقين"[6]، ومن هنا يبدو دور هذا المحسن في تأدية علاقة الإجمال والتفصيل.

ج– التقسيم:

يجعل الزركشي محسن "التقسم" من أساليب القرآن وفنونه البديعة، فعرّفه بقوله:" استيفاء أقسام الشيء بحيث لا يغادر شيئا، وهو آلة الحصر ومظنّة الإحاطة بالشيء"[7]، ويجعله السيوطي من بدائع القرآن فيعرّفه بقوله:" هو استيفاء أقسام الشيء الموجودة، لا الممكنة عقلا"[8]، وإنما قال الموجودة لا الممكنة من خلال العقل ، لأن القسمة العقلية " قد تقتضي أشياء مستحيلة كقولهم: الجواهر لا تخلو إما أن

---

[1] مصطفى المراغي، علوم البلاغة: البيان والمعاني والبديع، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1، 1993، ص333.

[2] الفلزّ: (بكسر الفاء وتشديد اللام) ما في الأرض من الجواهر المعدنية كالذهب والفضّة والنحاس .

[3] الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله، فتح الفتوح في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) ، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، دبي، ط1، 2013، ج8، ص496.

[4] السيوطي، المرجع السابق، ج5، ص1762.

[5]ابن عاشور، المرجع السابق، ج22، ص 311، 312.

[6] الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار صادر، بيروت، ط3، 1977، ج6، ص612.

[7] الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تح: محمّد ابو الفضل، دار التراث، مصر، دط، دت، ج3، ص 471.

[8] السيوطي، المرجع السابق، ج5، ص 1750.

تكون مجتمعة أو متفرقة، أو لا مجتمعة ولا متفرّقة، أو مجتمعة ومتفرّقة معا، أو بعضها مجتمع وبعضها مفترق، فإن هذه القسمة صحيحة عقلا، لكنّ بعضها يستحيل وجوده"[1].

وعرّفه السكاكي (ت626هـ) بقوله:" هو أن تذكر شيئا ذا جزأين ثم تضيف على كلّ واحد من أجزائه ما هو له عندك"[2]، وهو عند القزويني (ت 682 هـ) "ذكر متعدد ثم إضافة ما لكلّ إليه على التعيين"[3]،وهو بهذا يشير إلى أن التقسيم أعمّ من اللفّ والنّشر، ومهما اختلف الدارسون في تحديد مفهوم التقسيم، فإنه ل-بلا شك- يشير في أبسط صوره إلى تفصيل أو تقسيم مجمل سابق، بما يجعله قادرا على تحقيق علاقة الإجمال والتفصيل بين السابق واللاحق، أي تحقيق علاقة دلالية بين بنيتين لغويتين أو أكثر على الرغم من أن العلاقة في هذا النوع قد تتوسل في أحايين كثيرة بوسائل لغوية " فتارة يكون التقسيم بلفظة إمّا، وتارة بلفظة بين، كقولنا بين كذا وكذا، وتارة بلفظة منهم كقولنا: منهم كذا ومنهم كذا، وتارة بأن يذكر العدد المراد أولا ثم يقسّم كقولنا: فانشعب القوم شعبا أربعا؛ فشعبة ذهبت يمينا وشعبة ذهبت شمالا، وشعبة وقفت بمكانها، وشعبة رجعت إلى ورائها"[4]، وبالتالي تغدو علاقة على سطح النصّ إن توسّلت بهذه الوسائل اللغوية الشكلية، كما أشار إلى ذلك الباحث "جميل عبد المجيد"[5].

وقد تنبّه المفسرون إلى دور هذا المحسن البديعي في الربط بين الجزء الأول المجمل، والجزء الثاني المفصّل أو المقسّم، وذكر له كل من الزركشي (ت 794 هـ) والسيوطي (ت911هـ) نماذج كثيرة، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى:﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴿١٢﴾﴾ [الرعد: 12] فيقول: " إذ ليس في رؤية البرق إلا الخوف من الصواعق، والطمع في الأمطار، ولا ثالث لهذين القسمين"[6]. ومن النماذج التي يبدو فيها التقسيم واضحا ودوره بيّنا في تأدية العلاقة ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴿١٠﴾﴾ [الواقعة: 7-10 حيث يعلّق الزركشي على الأمر في سياق التعليق على قوله تعالى:﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: 32] بقوله:" فإنه لا يخلو العالم جميعا من هذه الأقسام الثلاثة إما ظالم نفسه، وإما سابق مبادر إلى الخيرات، وإما مقتصد فيها وهذا من أوضح التقسيمات وأكملها"[7] حتى إذا وصل إلى آية سورة الواقعة قال:" وهذه الآية مماثلة في المعنى للتي للتي قبلها، وأصحاب المشأمة هم الظالمون لأنفسهم، وأصحاب الميمنة هم المقتصدون، والسابقون هم السابقون بالخيرات"[8].

وانتبه ابن عاشور أيضا إلى علاقة الإجمال والتفصيل في هذا الموضع فقال:" وقد أفاد التفصيل أن الأصناف ثلاثة؛ صنف منهم أصحاب الميمنة (...) وصنف أصحاب المشأمة (...) وقوله والسابقون هذا الصنف الثالث في العدّ، وهم الصنف الأفضل، وبهذا الشكل يبدو لنا كيف جسّد هذا المحسن علاقة الإجمال في الآية الكريمة، فقد ذكر الإجمال في الأزواج الثلاثة، ثم بعدها توالى تقسيم وتفصيل هذه الأزواج بين أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون بالخيرات.

---

[1] الزركشي، المرجع السابق، ج3، ص 471.

[2] السكاكي، المرجع السابق، ج1، ص425.

[3] القزويني، المرجع السابق، ص369.

[4] ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطاعة والنشر، مصر، دط، دت، ج3، ص167.

[5] ينظر: جميل عبد المجيد، المرجع السابق، ص 160.

[6] السيوطي، المرجع السابق، ج5، ص1751.

[7] الزركشي، المرجع السابق، ج3، ص471.

[8] م ن ، ص ن.

وقد يستمر هذا المحسّن، أي التفصيل في السورة كلّها، فيأتي فيها تفصيل للأقسام المذكورة بما يوحي أن لهذا المحسن قدرة قد تتحاوز مستوى الجملة البسيطة إلى مستويات أخرى أوسع وأشمل وهي النصّ، فتغدو هي العلاقة المبرّرة لاجتماع البنيات اللغوية المتعدّدة " وحين نستكمل قراءة سورة الواقعة نجد فيها تفسيرا مفصلا لهؤلاء الثلاثة، وقد بدأ هذا التفسير بـ: السابقون السابقون، حيث عقب هذه الآية مباشرة قال: ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴿١٢﴾﴾ [الواقعة: 11-12]، واستمرّ التفسير على امتداد ست عشرة آية آخرها قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴿٢٨﴾﴾ [الواقعة: 27-28]، واستمرّ هذا التفسير على امتداد أربع عشرة آية آخرها قوله تعالى: ﴿وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴿٤٠﴾﴾ [الواقعة: 40]، وبعد هذه الآية مباشرة بدأ تفسير (أصحاب المشأمة) حين قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴿٤٢﴾﴾ [الواقعة: 41-42] واستمرّ هذا التفسير ستّ عشرة آية آخرها قوله تعالى: ﴿هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴿٥٦﴾﴾ [الواقعة: 56]"[1].

وبهذا الشكل تتجلى علاقة الإجمال والتفصيل من خلال هذه المحسنات البديعية التي تبسط سلطتها على مساحات واسعة من النص القرآني، فتقدم هذه القراءة الجديدة طاقات وأدوار جديدة له، وتلزمه بأداء وظائف متنوعة في المتن النصّي ، ولولا ضيق مساحة العرض في هذا المقام لقدّمنا نماذج متعددة من العلاقات التي تؤديها المحسنات البديعي في نماذج متعددة من النصوص الشعرية والنثرية، ولكننا سنكتفي بما حدده الباحث "جميل عبد المجيد" في دراسته المهمّة حين حاول حصر العلاقات الدلالية الناشئة عن المحسنات البديعية، وبما خلص إليه في تحديد دورها في الانسجام النصّي حيث يقول:" وتغدو هذه الفنون بحكم ما فيها من علاقات دلالية مؤهلة للإسهام في الحبك، كما تغدو بحكم تجاوز معظمها مستوى الجملة والبيت من جهة، وقابليتها للتحقق على مستوى الفقرة والنصّ من جهة أخرى، تغدو مؤهلة للإسهام في الحبك فيما بين الجمل والفقرات والنصّ بتمامه"[2]وقد وضّح توزيع فنون البديع على العلاقات الدلالية وفق الجدول الآتي:

فنون البديع	العلاقة الدلالية
التكرار المعنوي (على مستوى الجمل) –الجمع مقابلة الاستحقاق	الإضافة المتكافئة الإضافة المختلفة
تجاهل العارف المقابلة– العكس والتبديل– الرجوع القول بالموجب تأكيد المدح بما يشبه الذم– تأكيد الذم بما يشبه المدح	إبهام الإبدالية التقابل الربط المنعكس إبهام الربط المنعكس
التفريق– مقابلة المقارنة– تفريع النفي والجحود– جمع المؤتلفة والمختلفة	المقارنة
التفسير– التقسيم– الجمع ثم لتقسيم– اللف والنشر التقسيم ثم الجمع	الإجمال– التفصيل التفصيل – الإجمال
الجمع مع التفريق الجمع مع التقسيم والتفريق	إضافة ومقارنة إضافة–إجمال وتفصيل– مقارنة
المذهب الكلامي– المزاوجة التعليل	الشرط– الجواب التعليل الشعري

[1] جميل عبد المجيد، المرجع السابق، ص 161، 162.

[2] جميل عبد المجيد، المرجع السابق، ص 174.

تشابه الأطراف– التسهيم– التفويف	التناسب
الاستطراد– إيهام الاستطراد– التخلّص– فصل الخطاب– التفريع– الإدماج– الاستتباع	الاستطراد

جدول يوضّح تقسيم المحسنات البديعية على العلاقات الدلالية

5. خاتمة:

في ختام هذا البحث يمكننا القول: إن التناول الحديث لعلم البديع قد أكسبه حلّة جديدة، وأعطاه نفسا متجدّدا وحيوية لم تكن له من قبل بسبب سيطرة النظرة الدونية له عند الباحثين والدارسين، فجعلوا وظيفته وظيفة ثانوية تتجلى في مجرد التحسين اللفظي والمعنوي، وقد لاحظنا أن للبديع وظائف نصّية متعددة أهمها مساهمته في تحقيق الانسجام ، والربط بين البنيات اللغوية والقضايا، وتحقيق الجمالية المطلوبة في النصوص، وبالتالي يمكن أن تتعدى مساحة اشتغاله من حدود المثال الضيق الذي يتجلّى في الشاهد والبيت الشعري والجمل البسيطة، ليشغل حيّزا هاما في مساحات النص رابطا، ومساهما في عملية التفاعل بين الأبنية والقضايا المختلفة للنص، ويمكن من خلال هذا العرض أن نوجز أهم النتائج المتوصل إليها في هذا البحث :

– تناول الدارسون البديع بطريقة تقليدية نمطية، وهي طريقة يغلب عليها نوع من المفاضلة بينه وبين فني البلاغة الآخرين (البيان والمعاني)، ولعل هذا الأمر نابع مما جناه عليه الدارسون القدامى حين حصروا وظيفته في التحسين المعنوي واللفظي،؛ فهو بتعبير الدارسين مجرد وسيلة لطلاء خارجي لصرح بناه البيان وووضع أسسه علم المعاني، فطبيعي أن نهتم بالأسس وبالصرح ونرجئ الطلاء الخارجي لمراحل لاحقة، وعلى هذا النهج سار بعض الدارسين المحدثين حين همّشوا علم البديع أحيانا، وتناولوه بطريقة نمطية في أحايين أخرى ، أي بنظرة تجزيئية تفتيتية بعيدا عن وظائفه النصّية.

– حاول كثير من الدارسين المحدثين بعث الروح في علم البديع، وتجديد مباحثه، وإعطائه نفسا آخر ووظائف هامة في المتن النصّي، وهي دعوات بدأت متثاقلة نوعا ما، لكنّها الآن تجد لها صدى واسعا بين الدارسين خاصة على أيدي أولئك الباحثين الذين تشبّعوا بمناهج الدراسة والتحليل الحديثة، وطعّموا آليات تحليلهم بمناهج اللسانيات والأسلوبيات والتداوليات وتحليل الخطاب، بما تقدمه هذه الفروع المعرفية المختلفة من قدرات على استنطاق المتن اللغوي العربي.

– قد تبيّن لنا — من خلال جهود الدارسين– أن فنون البديع يمكن أن تؤدي دورا مهما في تماسك النصّ وانسجامه، وذلك لقدرتها الجبارة على تحقيق علاقات دلالية متنوعة في النص، فكلّ محسن بديعي يمكن ترجمته إلى علاقة ما فيه، ويمكن أن تمتدّ على مساحات واسعة فيه، وبالتالي يتحول إلى ذلك الخيط الرفيع الذي يمكن من خلاله تأويل النص من جهة، وتفسير ارتباط بنياته من جهة أخرى.

– اتّضح لنا أن مدونة علوم القرآن ، والتّفسير تحديدا قد شكّلت استثناء بارزا في التعامل مع البديع، حيث برز الاهتمام به مبكرا عند الدارسين، وبرز أيضا الوعي عندهم بالوظيفة النصيّة له، وقد تجلى ذلك في تعاملهم مع النص القرآني، حيث كثيرا ما نجد المفسّرين يعولون على عناصر البديع لتبرير تلك الانتقالات المفاجئة من موضوع لآخر في النص القرآني، أو تلك الانتقالات التي قد توهم بانقطاع دلالي معين في النص، فيأتي المحسن البديع على اختلافه (لف ونشر، تتميم، تذييل، تفسير، تقسيم ..الخ) ليبرر الانتقال، أو الربط أو العلاقة أو غيرها من الأمور. وبالتالي فإننا نلفت عناية الدارسين والباحثين إلى هذه المدونة من أجل اكتشاف الوظائف المتنوّعة للبديع بما يسهم في بناء نظرية نصيّة عربية قائمة على ما يقدّمه علم البديع.

6. قائمة المراجع:

1. ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطاعة والنشر، مصر، دط، دت.
2. أحمد محمد علي، دراسات في علم البديع، مطبعة الأمانة، مصر، ط1، 1986.
3. أمل سلمان حسان، الأساليب البديعية من منظور اللسانيات النصية: خطاب عبد الله ابن المقفع نموذجا، دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2017.
4. أمين الخولي، فن القول، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، دط، 1996.
5. تمام حسان: الأصول: دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، دط، 1988.
6. جاك موشلر، آن ريبول، المعجم الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف: عزّ الدين المجدوب، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط2، 2010.
7. ج ب براون، ج يول، تحليل الخطاب، تر: محمّد لطفي الزليطي، منير التريكي، منشورات جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، دط، 1997.
8. جميل عبد المجيجد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دط، 1998.
9. حياة مختار أم السعد، تداولية الخطاب الروائي: من انسجام الملفوظ إلى انسجام التلفظ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2015.
10. دومنيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمّد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.
11. رشيد برقان، آليات ترابط النصّ القرآني ،أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 2015.
12. الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تح: محمّد ابو الفضل، دار التراث، مصر، دط، دت.
13. الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار صادر، بيروت، ط3، 1977.
14. روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998.
15. سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، لجنة التأليف والتعريب والنشر، جامعة الكويت، دط، 2003.
16. "مشكل العلاقة بين البلاغة والأسلوبيات اللسانية"، أبحاث مؤتمر قراءة جديدة لتراثنا النقدي، 19- 24 نوفمبر 1988، النادي الأدبي الثقافي بجدة.
17. السكاكي، أبو يعقوب، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987.

18. السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تح: مركز الدراسات القرآنية،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، دط، دت
19. شوقي ضيف، في البلاغة العربية، علم البديع، دار النهضة، بيروت، دط، 1974.
20. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، دط، 1992.
21. الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله، فتح الفتوح في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) ، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، دبي، ط1، 2013،
22. عبد الرحمن بودرع، الخطاب القرآني ومناهج التأويل: نحو دراسة نقدية للتأويلات المعاصرة، الرابطة المحمّدية للعلماء، المغرب، ط1، 2013.
23. عزوز ختيم، الانسجام النصّي في القرآن الكريم،أطروحة دكتوراه علوم مرقونة في اللغة والأدب العربي، جامعة باتنة، 2018/2017.
24. فخرية غريب قادر، الانسجام في الخطاب القرآني: دراسة نصيّة في السور الموسومة بالعتاق الأول، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2017.
25. القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، التلخيص في علوم البلاغة، ضبط وشرح: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1904.
26. محمد خطابي، لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1991.
27. محمد شاكر ناصر الربيعي، أحمد جاسم مسلم الجنابي، "الأشكال البديعية في ضوء الانسجام في القرآن"، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، ع 17، 2014.
28. محمّد الشاوش، أصول نظرية تحليل الخطاب في النحو العربي، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2001.
29. محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1984.
30. محمّد عبد المطّلب، بناء الأسلوب في شعر الحداثة، دار المعارف، مصر، ط2، 1995.
31. محمّد عبد الباسط عيد، النصّ والخطاب قراءة في علوم القرآن، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 2016.
32. مصطفى المراغي، علوم البلاغة: البيان والمعاني والبديع، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1، 1993.
33. ميلود مصطفى عاشور، إياد عبد الله، " فوضى تعريب مصطلحي (cohésion- cohérence) في لسانيات النص وتحليل الخطاب"، مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، ع 10، أفريل 2016.